لطائف بيانية في سورة الماعون

المدرس الدكتور غزال صالح غزال

Representative wisdoms in (Al Ma’aoon) Surat

Ph.D. Ghazal Salih Ghazal

Between time and time, some searches and studies were sent to us that talk about the wisdoms and purposes in Quran interpretation, and maybe these wisdoms were linguistic or representative or spiritual, and this study showed some interpretative wisdom in one of the shortest Sura of the Holly Quran which talks about the religion liars conditions and about those whom not allow the charity for orphans and the most great of that, about those whom are inattentive of prayers , the representative wisdom concealed that the searcher showed the meanings that coincide on such adjectives and between the human conditions ,those whom attribute with such attributes (Lie, hypocrisy, adulation) and how these attributes effect on human and society , the searcher showed that Allah forbidden such attributes in more than one place in the Holly Quran ,also the Holly Prophet (PBUH) warned of such attributes and agitated to avoid them and call for the cooperative and the righteous among people to take over the mercy and the sympathy , and all come from the understanding of the Holly Quran expression meanings in right way .

Les subtilités descriptives (anecdotes) dans sourate Al Maoun

Le prof. D : Ghazal Saleh Ghazal...

A nous de temps en temps viennent des recherches et des études parlent sur des subtilités d'interprétation, et peut-être ces subtilités sont linguistiques ou explicatives ou spirituelles, et cette etude-ci a montré des subtilités descriptives dans une des courtes sourates dans le Saint Coran, en parlant à ceux qui rejettent la religion et qui interdisent la charité pour les orphelins et de plus à ceux qui oublient la prière, à ce propos la subtilité descriptive signifie que la recherche entre les significations des mots tourne sémantique dans ces qualités et l'état des êtres humains qui sont caractérisés par ces qualités **(le mensonge et l'hypocrisie et la cagoterie)** et leurs effets sur l'homme et la société, et que le chercheur y a montré qu'Allah a interdit ces actions dans plus d'un endroit du Coran, ainsi le prophète -la paix soit sur lui- a averti et les a exhortés à éviter, et il a appelé à la coopération et à la convergence et la magnanimité parmi les gens à fin d'emporter la compassion et la sympathie, et toute cela vient notamment à partir de comprendre correctement les vocabulaires des versets coraniques …

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله المنان، الذي علم القرآن، خلق الانسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على سيد الأنام، وعلى آله وأصحابه الكرام، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم القيام.

أما بعد: فإن كتاب الله هو الهداية والطريق المستقيم الذي لا يضل من اتبعه، والنور الذي يهدي الناس إلى الحق في ظلمات الباطل، وقد اخترت في هذا البحث لطائف بيانية في سورة الماعون، فوجدت في هذه السورة الكريمة اللطائف البيانية والمعاني السامية، لأبين ما فرضه الله علينا في ديننا الكريم، وكتابه الشافي لكل مشاكلنا وآلامنا وآمالنا.

وتظهر أهمية هذا الموضوع، من خلال اتصاله بأجل وأشرف وأقدس الموضوعات ألا وهو كتاب الله، المنقذ للناس من الظلمات إلى النور، الذي دعانا إلى فهم معانيه، في قولـــه تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1]، لذلك فمن الواجب بيان أسراره والكشف عن حقائق إعجازه وأحكامه، لننال خير الدنيا والآخرة، التزاماً بأوامره، وانتهاءً عن نواهيه.

وقد تناولت في هذا البحث دراسة السورة على ثلاث مباحث تحدثت في المبحث الأول عن تسميتها، ومحل وسبب نزولها وترتيبها وعدد آياتها، ومناسبتها لما قبلها وبعدها وأهدافها ومحورها، وفي المبحث الثاني عن لطائف بيانية في وصف حال المكذبين بالحساب والجزاء، وفي المبحث الثالث عن لطائف بيانية في وصف حال المنافقين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الباحث

المدرس الدكتور غزال صالح غزال

(١) سورة ص – الآية : ٢٩ .

المبحث الأول

بين يدي السورة

أولاً: تسميتها، ومحل وسبب نزولها، وترتيبها، وعدد آياتها.

١.تسميتها:

سميت هذه السورة في كثير من المصاحف، وكتب التفسير سورة الماعون لورود لفظ الماعون فيها دون غيرها، وسميت في بعض التفاسير أرأيت، والدين، والتكذيب، وذلك لما افتتحت به هذه السورة(١).

٢.محل وسبب نزولها:

وفيهما قولان الأول: قول جابرﷺ وأحد قولي ابن عباسﷺ أنها مكية، وأنها نزلت في العاص بن وائل السهمي(٢)، أو في أبي سفيان بن حرب، كان ينحر في كل أسبوع جزوراً، فجاءه يتيم فسأله شيئاً فضربه بعصا، والثاني: القول الآخر لابن عباسﷺ أنها مدنية، وأنها نزلت في المنافقين كانوا يراؤون المؤمنين بصلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا، ويمنعونهم العارية(٣)، في **قوله تعالى:** ﴿ **فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ** ﴾، وقال هبة الله(٤) المفسر: (نزل نصفها في مكة في العاص بن وائل،

---

(١) ينظر بصائر ذوي التمييز: ٥٤٦/١ ، والاتقان في علوم القرآن: ١٥٩/١ ، والتحرير والتنوير: ٣٠ /٥٦٣.

(٢) العاص بن وائل بن هاشم السهمي، من رؤساء قريش ، مات كافراً سنة ٦٢٠ م ، ينظر السيرة النبوية – لابن هشام: ٥١/٢ – ٥٢ ، والأعلام – للزركلي: ٣ / ٢٤٧ .

(٣) ينظر الجامع لأحكام القرآن: ٢١٠/٢٠ ، والبحر المحيط: ٥١٦/٨ ، ولباب النقول في أسباب النزول: ٢١٦ ، والاتقان في علوم القرآن: ٣٧/١ ، وفتح القدير: ٤٨٦/٥ .

(٤) هبة الله بن سلامة بن نصر ابو القاسم ، توفي سنة٤١٠هـ ، ينظر طبقات المفسرين : ٣٤٨/٢.

ونصفها في المدينة في عبد الله بن أُبي[١] المنافق)[٢]، وهذا ما أراه للجمع بين القولين لابن عباس ﷺ.

٣. ترتيبها:

نزلت بعد سورة التكاثر وقبل سورة الكافرون، ورتبت في المصحف بعد سورة قريش وقبل سورة الكوثر[٣].

٤. عدد آياتها:

هي سبع في العراقي، وست في المدني والشامي، وكلماتها خمس وعشرون كلمة، وحروفها مائة وخمسة وعشرون حرفاً[٤].

ثانيا: مناسبتها لما قبلها سورة قريش:

لما ذكر الله سبحانه وتعالى في سورة قريش إطعامه للجائعين، وأمنه للخائفين حيث لا حياة بلا طعام، ولا طعم لحياة بغير أمن، ثم جاءت سورة الماعون لتضرب على تلك القلوب الجافية، ولتهز المشاعر الجامدة، التي عرفت طعم الشبع بعد الجوع، وذاقت هناء الأمن بعد الخوف، حتى تبذل المعروف، وتسخو بالخير، قبل أن تنسى لذعة الجوع، ورعدة الخوف[٥]، (ولما عدد الله تعالى نعمه على قريش، حيث كانوا لايؤمنون بالبعث والجزاء، أتبع امتنانه عليهم، بتهديدهم بالجزاء وتخويفهم من عذابه)[٦].

ثالثاً: مناسبتها لما بعدها سورة الكوثر:

لما توعد الله سبحانه وتعالى في سورة الماعون المكذبين بالدين، الذين لا يؤمنون بالبعث والحساب والجزاء، ولا يقيمون الصلاة، ولا يؤدون الزكاة، بالويل

---

(١) عبد الله بن ابي سلول ابو الحباب ، كان رأس المنافقين ، توفي بعد غزوة تبوك سنة٩هـ ، ينظر البداية والنهاية: ٣٤/٥.

(٢) البحر المحيط: ٥١٦/٨ .

(٣) ينظر الاتقان في علوم القرآن: ٧٣/١ .

(٤) ينظر بصائر ذوي التمييز: ٥٤٦/١ .

(٥) ينظر التفسير القرآني للقرآن: ١٦٨٣/٨ .

(٦) البحر المحيط: ٥١٦/٨ .

والهلاك، والعذاب الشديد في نار جهنم، جاءت سورة الكوثر تبشر سيد البشر بالخير الكثير للمؤمنين بيوم الجزاء، وهذا الفضل الكبير من ربه، ومنه ينال المؤمن والمؤمنة نصيبه من فضل الله وعطاءه على قدر ما عمل(١). فهذه السورة مقابلة لما بعدها، (فذكر في مقابلة البخل **قوله:** ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ أي: إنا أعطيناك الكثير فأعط أنت الكثير ولا تبخل، وذكر في مقابلة **قوله:** ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾، **قوله:** ﴿فَصَلِّ﴾، أي: دم على الصلاة، وذكر في مقابلة **قوله:** ﴿يُرَآءُونَ﴾، **قوله:** ﴿لِرَبِّكَ﴾، أي: ائت بالصلاة لرضا ربك لا لمراءاة الناس، وذكر في مقابلة **قوله:** ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾، **قوله:** ﴿وَٱنۡحَرۡ﴾ وأراد به التصدق بلحم الأضاحي، فاعتبر هذه المناسبة العجيبة، ثم ختم السورة **بقوله:** ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾أي: المنافق الذي يأتي بتلك الأفعال القبيحة المذكورة في تلك السورة سيموت ولا يبقى من دنياه أثر ولا خبر وأما أنت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل وفي الآخرة الثواب الجزيل)(٢).

رابعاً: أهدافها ومحورها:

فهي تهدف إلى غرس جملة من الأمور والمعاني منها الإيمان باليوم الآخر، والتخويف من ذلك اليوم، والتنفير من حال الكافر الجاحد لنعم الله، المكذب بيوم الحساب والجزاء، ووجوب الاستعداد لدفع شر ذلك اليوم بتجنب أنواع الآثام والخطايا، والتسلح بالعمل الصالح، والاخلاص لله تعالى بالعبادات، والزجر عن أذية اليتيم وعدم أكل أموالهم، وبذل الطعام للمساكين، والمحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها، وعدم البخل بالأشياء القليلة التي لا تمنع عادة عن الناس.

ويدور محور السورة الحديث عن فريقين الأول: هم الكافرون الجاحدون لنعم الله، المكذبون بيوم الحساب والجزاء ومن صفاتهم الذميمة، أنهم يهينون اليتيم

(١) ينظر التفسير القرآني للقرآن : ١٦٨٩/٨ .

(٢) التفسير الكبير: ٣٢ / ١١٢ .

ويزجرونه، غلظة لا تأديباً، ولا يفعلون الخير، حتى ولو بالتذكير بحق المسكين والفقير، فلا هم أحسنوا في عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه، والفريق الثاني: هم المنافقون الذين لا يقصدون بعملهم وجه الله تعالى، بل يراؤون في أعمالهم وصلاتهم فلا يؤدونها في أوقاتها، وقد توعدت الفريقين بالويل والهلاك، وشنعت عليهم أعظم تشنيع، بأسلوب الاستغراب والتعجيب من ذلك الصنيع(١).

المبحث الثاني

الكافرون المكذبون بيوم الحساب والجزاء

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ ﴾.

بين الله سبحانه وتعالى صفات الكافرين التي فيها جحود لحق الخالق، فذكر منها التكذيب بيوم الدين، وبين صفاتهم التي فيها جحود لحق الخلق، وصورهم بأبشع الصور، للتنفير والزجر عن أفعالهم، فذكر منها دفع اليتيم، ولما كانت القسوة على اليتيم علامة على الشر وعدم اللين بين أنه أشد بخلاً بالبذل من ماله على المسكين، حتى وصل به الحال إلى عدم حث نفسه وأهله والناس عليه، وهذا مما يدعوا إلى العجب ممن يكذب بالجزاء مع ظهور الدلائل عليه، إشارةً إلى التصديق به وزجراً عن التكذيب(٢).

الألف في **قوله تعالى:** ﴿أَرَءَيْتَ﴾ ألف تقرير وتنبيه في لفظ الاستفهام، وليس استفهاماً محضاً، يراد به تشويق السامع إلى الخبر، ولفت النظر والعقل إلى هذا الإنسان المكذب بالجزاء والحساب، بأنه إنسان عجيب، فلا ينبغي لعاقل أن يفوته النظر إلى حاله، ليحترز عنه وعن فعله العابد، ففيه عبرة لمن يعتبر، وهذه الرؤية رؤية عين بمعنى المعرفة، لأنه اقتصر فيها على مفعول واحد، كأنه قال: أأبصرت؟ وهذا لا يسوغ أن يقع بعده استفهام، لأنه إنما يقع في الأفعال التي تلغى فيعلق

(١) ينظر صفوة التفاسير: ٦٠٨/٣ .

(٢) ينظر نظم الدرر: ٢٧٥/٢٢ – ٢٧٨ .

عنها[١]، (معناه: هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو فإن لم تعرفه فهو الذي يدع اليتيم، واعلم أن هذا اللفظ وإن كان في صورة الاستفهام لكن الغرض بمثله المبالغة في التعجب كقولك: أرأيت فلاناً ماذا ارتكب ولماذا عرض نفسه؟، ثم قيل إنه خطاب للرسولﷺ، وقيل بل خطاب لكل عاقل أي: أرأيـــت يا عاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح تبيانه، أيفعل ذلك لا لغرض؟ فكيف يليق بالعاقل جر العقوبة الأبدية إلى نفسه من غير غرض، أو لأجل الدنيا، فكيف يليق بالعاقل أن يبيع الكثير الباقي بالقليل الفاني)[٢].

والمراد **بقوله:** ﴿بِٱلدِّينِ﴾ الحساب والجزاء، وهو قول أكثر المفسرين، لأن من ينكر الاسلام قد يأتي بالأفعال الحميدة، ويحترز عن مقابحها إذا كان مقراً بالقيامة والبعث، أما المقدم على كل قبيح من غير مبالاة فليس هو إلا المنكر للبعث والقيامة، لذلك كانت أعماله معروفة فصارت كالأمر المبصر المشاهد [٣].

يدل **قوله تعالى:**﴿يَدُعُّ﴾على الحركة والدفع والاضطراب والضرب، والزجر والرد بعنف وجفوة، والأذى بالقول الخشن، والاستخفاف وعدم المواساة والاحسان إليه[٤]، (ودع اليتيم دفعه بعنف وذلك إما أن يكون المعنى عن إطعامه والإحسان اليه، وإما أن يكون عن حقه وماله، فهذا أشد، وقرأ أبو رجاء[٥] ﴿ **يَدَعُّ**﴾ بفتح الدال خفيف بمعنى:لا يحسن اليه)[٦]، (إن﴿يَدُعُّ﴾ بالتشديد معناه: أنه يعتاد ذلك فلا يتناول

(١) ينظر إعراب القران – للزجاج: ٤٣٨/٢ ، ومعترك الاقران: ٣ / ٤٥٣ ، وإعراب ثلاثين سورة: ٢٠١ ، وروح المعاني : ٣٠/ ٢٤١ ، والتفسير القرآني للقران: ١٦٨٤/٨ .

(٢) التفسير الكبير: ٣٢ / ١١٢ .

(٣) ينظر جامع البيان: ٣١٠/٣٠ ، والتفسير الكبير: ١١٢/٣٢ ، والتحرير والتنوير: ٥٦٥/٣٠.

(٤) ينظر معجم مقاييس اللغة: ٢٥٧/٢ ، والكشاف: ٢٨٩/٤ ، والتفسير الكبير: ١١٢/٣٢.

(٥) هو عمران بن تيم العطاردي البصري، أخذ القراءة عرضاً عن ابن عباس ﷺ، (ت١٠٥هـ)، ينظر معرفة القراء الكبار: ١ / ٥٨ – ٥٩ .

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥ / ٤٩٥ .

الوعيد من وجد منه ذلك وندم عليه،...، إنما المكذب هو الذي يصر على الذنب)[١]، قال الله تعالى: ﴿ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾[٢]، وقال أيضاً: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾[٣].

ويدل **قوله:** ﴿ الْيَتِيمَ ﴾ على الانفراد والغفلة، لأن الناس يتغافلون عنه لضعفه، فلا يجد من يدفع عنه الأذى ويأخذ حقه[٤]، (وجبلت النفوس على ألا تبذل إلا بعوض، ولا تكف إلا عن خوف، فالخوف مأمون من جانبي اليتيم والمسكين، والجزاء غير مأمول منهما، فلم يبق دافع للإحسان إليهما، ولا رادع عن الإساءة لهما إلا الإيمان بيوم الدين والجزاء، فيحاسب الإنسان على مثقال الذرة من الخير)[٥].

وإن **قوله تعالى:** ﴿ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾ فيه إيجاز بالحذف، حذف منه الشرط أي: إن أردت أن تعرفه فذلك الذي يدع اليتيم، وهذا من أساليب البلاغة، ووضع اسم الإشارة موضع الضمير للدلالة على التحقير، وللإشعار بعلة الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد وقلة الإحسان، وفي إقحام اسم الإشارة واسم الموصول بعد الفاء زيادة في التشويق، حتى تقرع الصلة سمع السامع، فيتعرف على صفته أكثر[٦].

وتأكيداً لذم جحود الكافرين لحق المساكين جاء بأداة النفي في **قوله تعالى:** ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾، وكنى بنفي الحض عن نفي الإطعام لأن الذي يبخل بالحض على الإطعام هو بالإطعام أشد بخلاً، وفي ذلك إشارة إلى النهاية في الخسة،

---

(١) التفسير الكبير: ١١٢/٣٢ .

(٢) سورة الفجر – الآية: ١٧ .

(٣) سورة الضحى –الآيتان: ٩– ١٠ .

(٤) ينظر لسان العرب – مادة يتم : ٦٤٥/١٢ ، وتتمة اضواء البيان:٩ / ٥٤٤ .

(٥) أضواء البيان : ٩ / ١١٥ .

(٦) ينظر معترك الاقران: ٤٥٤/٣ ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٩ / ٢٠٣ ، وروح المعاني: ٢٤٢/٣٠، وصفوة التفاسير: ٦٠٨/٣.

وفيه النهي عن المن في العطاء على المساكين لاستحقاقهم له[١]، (ففيه وجهان أحدهما: أنه لا يحض نفسه على طعام المسكين، وإضافة الطعام إلى المسكين تدل على أن ذلك الطعام حق المسكين، فكأنه منع المسكين مما هو حقه، وذلك يدل على نهاية بخله وقساوة قلبه وخساسة طبعه)[٢].

وقد بين الله تعالى أن في أموال الأغنياء حق للفقراء، **منها قوله تعالى :** ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾[٣]، **وقوله أيضاً:** ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴾[٤] .

وإن الذم في الآية ليس عاماً ليشمل من تركه عجزاً، ولكنهم كانوا يبخلون ويعتذرون لأنفسهم، كما جاء في **قوله تعالى:** ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[٥]، فرد الله سبحانه وتعالى على قولهم هذا بتوجيه الذم في هذه الآية إليهم، فهم لا يفعلونه وإن قدروا عليه وتيسر لهم، ولا يحثون عليه إن عسروا[٦].

إن الايمان بالجزاء والثواب والعقاب يؤدي إلى أحسن الأعمال والصلاح والإصلاح في العالم، ولو آمن الناس جميعاً بهذه العقيدة إيماناً لا شك فيه، لاستقامت أمورهم وكثر فيهم الخير والاحسان، وابتعدوا عن الشر والفساد والاساءة إلى الضعفاء من الأيتام والمساكين، (إن الذي يكذب بالدين هو الذي يدفع اليتيم دفعاً بعنف أي: الذي يهين اليتيم ويؤذيه، والذي لا يحض على طعام المسكين ولا يوصي

---

(١) ينظر التفسير الكبير: ١١٣/٣٢ ، ومعترك الاقران: ٤٥٥/٣ ، وروح المعاني: ٢٤٢/٣٠، والتحرير والتنوير: ٥٦٦/٣٠ .

(٢) المصدر نفسه: ١١٣/٣٢ .

(٣) سورة الذاريات – الآية: ١٩ .

(٤) سورة البلد – الآيات: ١١-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-١٧-١٨ .

(٥) سورة يس – الآية : ٤٧.

(٦) ينظر النكت والعيون: ٤/ ٥٢٩ .

برعايته، فلو صدّق بالدين حقاً، ولو استقرت حقيقة التصديق في قلبه ما كان ليدعّ اليتيم، وما كان ليقعد عن الحض على طعام المسكين، إن حقيقة التصديق بالدين ليست كلمة تقال باللسان؛ إنما هي تحول في القلب يدفعه إلى الخير والبر بإخوانه في البشرية، المحتاجين إلى الرعاية والحماية، والله لا يريد من الناس كلمات، إنما يريد منهم معها أعمالاً تصدقها، وإلا فهي هباء، لا وزن لها عنده ولا اعتبار)[١] .

وقد توعد الله سبحانه وتعالى المكذبين بالبعث بالعذاب الأليم في كثير من الآيات منها **قوله تعالى:** ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[٢]، **وقوله تعالى:** ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾[٣]، **وقوله تعالى:** ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾[٤].

إن الإيمان بالبعث من أركان الإيمان، هو الذي يحمل صاحبه على فعل الخير، (وهذا إيذان بأن الإيمان بالبعث والجزاء هو الوازع الحق، الذي يغرس في النفس جذور الإقبال على الأعمال الصالحة، حتى يصير ذلك لها خلقاً إذا شبت عليه، فزكت وانساقت إلى الخير بدون كلفة، ولا احتياج إلى آمر ولا إلى مخافة ممن يقيم عليه العقوبات، حتى إذا اختلى بنفسه وآمن الرقباء جاء بالفحشاء والأعمال النكراء)[٥]، روي عن أبي هريرة ﷺ قال: ((كان النبيﷺ بارزاً يوماً للناس، فأتاه

(١) في ظلال القرآن: ٦ / ٣٩٨٥ .

(٢) سورة الرعد – الآية: ٥ .

(٣) سورة المدثر – الآيات: ٤٢-٤٣-٤٤-٤٥-٤٦- ٤٧ .

(٤) سورة المطففين – الآيات: ١٠-١١-١٢ .

(٥) التحرير والتنوير: ٥٦٥/٣٠ .

رجل فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله، وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر كله))[١].

وقد بين الله تعالى أن الإيمان بيوم الدين يحمل صاحبه على فعل الخير ومنها إطعام اليتيم والمسكين، وبين الدافع على إطعامهم إياهم هو الخوف من يوم الجزاء، **في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾**[٢].

وإن كافل اليتيم ومطعم المسكين محمود في الإسلام وله الأجر العظيم ومنعم في جنات النعيم، روي عن أبي هريرةﷺ قال: قال: رسول اللهﷺ: ((كافل اليتيم له أو لغيره، أنا وهو كهاتين في الجنة، وأشار بالسبابة والوسطى))[٣]، وروي عن أبي سعيد الخدريﷺ قال: سمعت رسول اللهﷺ أنه قال: ((وإن هذا المال خضرة حلوة فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل))[٤]، وروي عن أبي هريرةﷺ قال: قال النبيﷺ: ((الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل والصائم النهار))[٥].

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الايمان – باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان: ١/ ٣٩ –٤٠ رقم الحديث: ٩ – ١٠ .

(٢) سورة الانسان – الآيات: ٨ – ٩ – ١٠ .

(٣) صحيح مسلم– كتاب الزهد – كتاب البر: ٤ / ٢٢٨٧ ، رقم الحديث: ٢٩٨٣ .

(٤) صحيح البخاري – كتاب الزكاة – باب الصدقة على اليتامى: ٢ / ٥٣٢ ، رقم الحديث: ١٣٩٦ .

(٥) المصدر نفسه – كتاب الأدب ، باب الساعي على المسكين: ٥ / ٢٠٤٧ ، رقم الحديث: ٥٠٣٨ .

المبحث الثالث

المنافقون المراؤون في عبادتهم

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾.

توعد الله سبحانه وتعالى المنافقين بالهلاك لمراءتهم في صلاتهم بتركها وعدم إخلاصهم فيها لله تعالى، وعدم إحسانهم إلى الخلق لمنعهم الماعون، وعدم مساعدة المحتاجين والفقراء، فلا هم أحسنوا عبادة ربهم بالمحافظة على الصلوات، ولا هم أحسنوا إلى خلقه بإعانة المحتاجين وبذل الصدقات، إشارة إلى تهاونهم بالفرائض أدى بهم إلى ترك الفضائل، وأن الذي يمتنع عن فعل الخير والمعروف لا يرتجى منه المحافظة على الفرائض ومنها الصلاة والزكاة، لذا قابل فعلهم بالويل الذي يدل على الوعيد بالعذاب والهلاك والفضيحة والبلية، إشارة إلى شدة العذاب والخزي في الدنيا والآخرة(١).

فكان لهم هذا العذاب الشديد لأنهم استهانوا بالصلاة، لما فيها من تعظيم الرب تعالى وتقديسه، فجاء بصيغة الذم والتوبيخ، ووضع الظاهر مكان الضمير فويل لهم، زيادة في التقبيح لأنهم مع كذبهم في عبادتهم ساهون عن الصلاة، وإطلاق المصلين على المنافقين بمعنى: المتظاهرين بأنهم يصلون، وهو من إطلاق الفعل على صورته(٢)، (والفاء جزائية والمعنى: إذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ، فالسهو عن الصلاة التي هي عماد الدين، والرياء الذي هو شعبة من الكفر، ومنع الزكاة التي هي قنطرة الإسلام أحق بذلك، ولذلك رتب عليها

---

(١) ينظر التفسير الكبير: ١١٤/٣٢ و ١١٥ ، وتفسير القرآن العظيم: ٨ / ٤٩٥ ، وفي ظلال القران: ٣٩٨٥/٦ .

(٢) ينظر معترك الأقران: ٤٥٥/٣ ، والتحرير والتنوير: ٥٦٩/٣٠، وصفوة التفاسير: ٦٠٨/٣.

الويل، أو للسببية على معنى: فويل لهم وإنما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على سوء معاملتهم مع الخالق والخلق)[١]، **في قوله تعالى :** ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ﴾.

وإن كلمة الويل لتهز قلب المصلي المخلص لله بصلاته، وتجعله يراجع نفسه عندما يقف بين يدي الله تعالى، فيكون على خشوع وخوف عندما يؤدي الصلاة خشية أن يصيبه هذا الوعيد عندما يتركها، لذلك جاء هذا التهديد العظيم للجريمة العظيمة، التي من شأنها التقصير وعدم المبالاة في تعظيم أمر الله، من قبل المنافقين الذين يأتون بهذه الأفعال تظاهراً بالإسلام، وباطنهم الكفر والرياء، فكانت صلاتهم استهزاءً بالدين، إشارة إلى أنهم لم يقيموها والمطلوب إقامتها بشرائطها وأركانها والخشوع فيها، واستحضار حقيقتها والقيام لله وحده بها في الباطن والظاهر، لا مجرد أدائها من قيام وركوع وسجود، والتعبد بألفاظها التي يسهل على كل فرد أن يتعودها[٢]، (ولهذا قال: ﴿لِّلۡمُصَلِّينَ﴾أي: الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها، ثم هم عنها ساهون، إما عن فعلها بالكلية،...، وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعا، فيخرجها عن وقتها بالكلية،...، وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائما أو غالبا، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل هذا كله، ولكن من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية، ومن اتصف بجميع ذلك، فقد تم نصيبه منها، وكمل له النفاق العملي)[٣].

وروي عن أنس بن مالكﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((تلك صلاة المنافق، يجلس يَرْقُب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً))[٤]، (فهذا أخر صلاة العصر التي هي الوسطى، كما ثبت

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٥ / ٥٣٥ .

(٢) ينظر التفسير الكبير: ١١٤/٣٢ و ١١٥ ، وروح المعاني: ٢٤٣/٣٠ ، وفي ظلال القران: ٣٩٨٥/٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٨ / ٤٩٣ .

(٤) صحيح مسلم– كتاب المساجد– باب استحباب التبكير بالعصر: ٤٣٤/١– رقم الحديث: ٦٢٢.

به النص إلى آخر وقتها، وهو وقت كراهة، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب، لم يطمئن ولا خشع فيها أيضاً، ولعله إنما حمله على القيام إليها مراءاة الناس، لا ابتغاء وجه الله، فهو كما إذا لم يصل بالكلية)[١].

وإن الصلاة عماد الدين والفارق بين الإسلام والكفر وقد روي عن جابر ﷺ أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة))[٢].

وإن السهو عن الصلاة يدل على تأخيرها وتركها، والتهاون والغفلة واللهو عنها، وذلك بتضييع وقتها في السر بالترك حساً ومعناً، وفي العلن بإفسادها معناً[٣]، (والسهو حقيقته : الذهول عن أمر سبق علمه، وهو هنا مستعار للإعراض والترك عن عمد استعارة تهكمية)[٤].

وللتأكيد على أن السهو عن الصلاة من صفات المنافقين **قوله تعالى:** ﴿ **عَن صَلَاتِهِمْ** ﴾ ولم يقل في صلاتهم، لأن (معنى: (عن) أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها وذلك فعل المنافقين، ومعنى: (في) إن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم، وكان رسول الله ﷺ يقع له السهو في صلاته فضلاً عن غيره)[٥]، ويؤيد هذا المعنى ما روي عن ابن عباس ﷺ أنه قال: (ولو قال في صلاتهم ساهون لكانت في المؤمنين)[٦]، وبين الله سبحانه

(١) تفسير القرآن العظيم: ٨ / ٤٩٣ .

(٢) صحيح مسلم – كتاب الايمان – باب اطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة: ٨٨/١ – رقم الحديث: ٨٢ .

(٣) ينظر جامع البيان: ٣١١/٣٠ و ٣١٢ ، ونظم الدرر: ٢٧٥/٢٢ – ٢٨٢ .

(٤) التحرير والتنوير: ٥٦٩/٣٠.

(٥) الكشاف: ٢٨٩/٤ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ٢١٢/٢٠ .

وتعالى صفات المنافقين **في قوله:** ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[١].

وقد أمر الله عز وجل المحافظة على الصلوات، وأنذر الذين اضاعوا الصلاة بالعذاب يوم القيامة، **قال سبحانه وتعالى:** ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[٢]، **وقال ايضاً:** ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾[٣]، وقد أمر الرسول ﷺ بالمحافظة على الصلوات المكتوبات في أوقاتهن، روي عن عبد الله بن مسعودﷺ قال: ((سألت رسول الله ﷺ أيُّ العمل افضل؟ قال: الصلاة على أوقاتها، قال قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قال قلت: ثم اي؟ قال: الجهاد في سبيل الله))[٤]، وفي ذلك حث على مراعاة الصلاة، والمحافظة عليها، وعلى الإخلاص فيها وفي جميع الأعمال.

ويدل أن المنافقين يتظاهرون بالعباد طاعة، ويحسّنون منظرها في البهاء والجمال للناس رياءً وسمعةً على خلاف ما هم عليه من الكفر في الباطن[٥]، **قوله تعالى:** ﴿يُرَآءُونَ ﴾.

وإن النفس الإنسانية تحب التظاهر، والجاه والسمعة الحسنة لدى الناس، حتى يقال إنه من المصلين، أو أهل الدين، أو حتى يأمن على نفسه في ظل الإسلام، فيصلي ظاهراً، ولكن باطنه الكفر والنفاق والكيد والمكر ضد الإسلام والمسلمين، (وحقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بالعبادة، وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس، وأولها تحسين السمت؛ وهو من أجزاء النبوة، ويريد بذلك الجاه والثناء، وثانيها:

---

(١) سورة النساء – الآية : ١٤٢ .

(٢) سورة البقرة – الآية : ٢٣٨ .

(٣) سورة مريم – الآية : ٥٩ .

(٤) صحيح مسلم – كتاب الايمان – باب كون الايمان بالله تعالى أفضل الاعمال: ٨٨/١ – رقم الحديث: ٨٥.

(٥) ينظر الجامع لأحكام القرآن: ٢١٢/٢٠ ، ولسان العرب – مادة رأي: ٢٩٥/١٤ .

الرياء بالثياب القصار والخشنة؛ ليأخذ بذلك هيئة الزهد في الدنيا، وثالثها: الرياء بالقول، بإظهار التسخط على أهل الدنيا؛ وإظهار الوعظ والتأسف على ما يفوت من الخير والطاعة، ورابعها : الرياء بإظهار الصلاة والصدقة، أو بتحسين الصلاة لأجل رؤية الناس)[١].

والمرائي قد يكون منافقاً، وقد يكون غير منافق، فقد يرائي في عمل ما ويكون مؤمناً بالبعث والجزاء، وبكل أركان الإيمان، ولا يرائي في عمل آخر، بل يكون مخلصاً فيه كل الإخلاص، فالمنافق دائماً مخالف لباطنه في كل شيء لا في الصلاة فقط، لذلك جاء الوعيد على المستخفين بالصلاة، الذين يأتونها رياءً ونفاقاً[٢]، (فاعلم أن الفرق بين المنافق والمرائي؛ أن المنافق: هو المظهر للإيمان المبطن للكفر، والمرائي: المظهر ما ليس في قلبه من زيادة خشوع ليعتقد فيه من يراه أنه متدين، أو تقول: المنافق لا يصلي سراً والمرائي تكون صلاته عند الناس أحسن)[٣]، (إنهم أولئك الذين يصلون، ولكنهم لا يقيمون الصلاة، الذين يؤدون حركات الصلاة، وينطقون بأدعيتها، ولكن قلوبهم لا تعيش معها، ولا تعيش بها، وأرواحهم لا تستحضر حقيقة الصلاة وحقيقة ما فيها من قراءات ودعوات وتسبيحات، إنهم يصلون رياء الناس لا إخلاصاً لله،...، ومن هنا لا تنشئ الصلاة آثارها في نفوس هؤلاء المصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون، فهم يمنعون الماعون، يمنعون المعونة والبر والخير عن إخوانهم في البشرية، يمنعون الماعون عن عباد الله، ولو كانوا يقيمون الصلاة حقاً لله ما منعوا العون عن عباده، فهذا هو محك العبادة الصادقة المقبولة عند الله)[٤].

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠ / ٢١٢ – ٢١٣.

(٢) ينظر تتمة أضواء البيان: ٥٤٦/٩ ، والتفسير القرآني للقرآن: ١٦٨٨/٨ .

(٣) التفسير الكبير: ١١٥/٣٢ .

(٤) في ظلال القرآن: ٦ / ٣٩٨٥ .

روي عن ابن عباس ﷺ أنه قال: (هم المنافقون، كانوا يراءون الناس بصلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا، ويمنعونهم العارية بغضة لهم وهي: الماعون)[١].

وذكرهم الله **سبحانه وتعالى بقوله:** ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾[٢].

ونهى عن الشرك والرياء **في قوله تعالى:** ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[٣].

وحذر المصطفى ﷺ من الرياء، فيما روي عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الرجال فقال: ((ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح الدجال ؟ قال، قلنا : بلى، فقال : الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل))[٤].

واذا أشرك العبد بالعمل غير الله فلا يقبله، وذلك فيما روي عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((قال الله تعالى: أنا اغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً اشرك فيه معي غيري تركته وشركه))[٥].

ويوم القيامة تكشف السرائر، فيسألهم العليم بسرائرهم عن أعمالهم، ويبين ما أخفت قلوبهم فيدخلهم النار، لما روي عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ

---

(١) شعب الايمان – باب في إخلاص العمل لله :٥/ ٣٤٠ – رقم الحديث: ٦٨٥٣ .

(٢) سورة التوبة – الآيتان : ١٦٤ – ١٦٦ .

(٣) سورة الكهف – الآية : ١١٠ .

(٤) سنن ابن ماجه – كتاب الزهد – باب الرياء والسمعة: ١٤٠٦/٢ – رقم الحديث: ٤٢٢٠٤

(٥) صحيح مسلم – كتاب الزهد والرقاق – باب من أشرك في عمله غير الله : ٢٢٨٩ – رقم الحديث: ٢٩٨٥ .

فَعَرَفَهَا، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال : كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريءٌ فقد قيل، ثم أُمِرَ به فَسُحِبَ على وجهه، حتى أُلْقِيَ في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قال فما عملت فيها ؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن، ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمِرَ به، فَسُحِبَ على وجهه حتى أُلْقِيَ في النار، ورجل وسع الله عليه فأعطاه من أصناف المال كله، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قال: ما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال : هو جواد، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فَسُحِبَ على وجهه، ثم أُلْقِيَ به في النار))[١].

ومما يدل على أن المنافقين يتظاهرون بالعبادة هو عدم مساعدتهم الناس بأبسط الأشياء أو كل ما يستعار، التي لا تمنع عادة لسهولتها وتيسيرها في كل بيت من منافع الأشياء مثل الدلو والفأس والقدر والقصعة، لأنه يكثر معطيه ولا يغني كاسبه، لذلك وصفهم سبحانه وتعالى بمنتهى البخل والدناءة والشح، وبين أنهم غلب عليهم الشح حتى أنهم مع كثرة الرياء منهم لم يقدروا على أن يراءوا بالشيء التافه، فانسلخوا من جميع المكارم، إشارة للزجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة، والحث على فعل المعروف وبذل الأموال الخفيفة، كالعارية والإناء والدلو ونحو ذلك[٢]، **في قوله تعالى:** ﴿ **وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ** ﴾، ويؤيده ما روي عن عكرمة قال: (رأس الماعون زكاة المال، وأدناه المنخل والدَّلو والإبرة)[٣].

وإن وجه الملائمة بين **قوله تعالى:** ﴿ **يُرَآءُونَ** ﴾، وبين **قوله تعالى:** ﴿ **وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ** ﴾، (كأنه تعالى يقول الصلاة لي والماعون للخلق، فما يجب

(١) صحيح مسلم – كتاب الإمارة – باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار: ١٥١٣/٣ – رقم الحديث: ١٩٠٥ .

(٢) ينظر جامع البيان: ٣١٤/٣٠ – ٣٢٠ ، والتفسير الكبير: ١١٦/٣٢ ، والبحر المحيط: ٥١٨/٨ ، ونظم الدرر: ٢٧٥/٢٢ – ٢٨٢ ، والتحرير والتنوير: ٦٨/٣٠ .

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٣٣١ .

جعله لي يعرضونه على الخلق، وما هو حق الخلق يسترونه عنهم، فكأنه لا يعامل الخلق والرب إلا على العكس)[١].

وإن منع المعونة والبر والخير والمعروف عن الناس مذموم، لأنه يؤدي إلى الحقد والحسد والتباغض، وقد نهى الله تعالى عن هذه الصفات، **في قوله تعالى:** ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٢]، **وقال تعالى:** ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[٣]، **وقال تعالى:** ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴾[٤].

وحث الله تعالى على البر والتعاون فيما بين الناس، ليتم التقارب بينهم وينعدم التباعد، ويسود التراحم والتعاطف، **قال الله سبحانه وتعالى:** ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٥].

وروي عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((منْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا

(١) التفسير الكبير: ١١٦/٣٢ .
(٢) سورة آل عمران – الآية: ١٨٠ .
(٣) سورة التوبة – الآيتان : ١٦٧ – ١٦٨ .
(٤) سورة ق – الآيتان: ٢٥-٢٦ .
(٥) سورة المائدة – من الآية: ٢ .

وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ في عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ))[١]، وروي عن جابـــر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((كل معروف صدقة))[٢].

نرى أن الإسلام حث على التعاون، وقضاء حوائج الناس للنهوض بالحياة الاجتماعية إلى المستوى الرفيع الذي يؤدي إلى التخفيف من آلام المحتاجين في زمن الشدة والضيق حتى تتحقق السعادة لأفراد المجتمع، والزجر عن البخل بالأشياء القليلة التي لا تمنع عادة عن الناس، ليؤدي إلى تهذيب النفس والزهد في الدنيا، لإشاعة المعروف والتعاون بين الناس[٣].

(١) صحيح مسلم – كتاب الذكر– باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن: ٢٧٢/٤ – رقم الحديث: ٢٦٩٩ .

(٢) صحيح البخاري – كتاب الادب – باب كل معروف صدقة: ٢٢٤١/٥ – رقم الحديث: ٥٦٧٥ .

(٣) ينظر التفسير الكبير: ١١٦/٣٢ ، وروح الدين الاسلامي: ٢١٩ .

الخاتمة

الحمد لله على ما هدى وأرشد، المقصود بالقربات والمدد، وصلّ اللهم على سيدنا محمد الأمجد، وعلى آله وأصحابه الرشَّد.

بعد أن حلقت في هذه الأجواء الطيبة المباركة السامية، عند دراستي لهذه السورة المباركة، توصلت إلى النتائج الآتية :

١. إن هذه السورة المكية بآياتها الثلاث الأول، والمدنية بالآيات الباقيات، تعالج حقيقة عظيمة، من حقائق العقيدة هي الإيمان بالبعث، والتصديق بالحساب والجزاء.

٢. إن نزول القرآن كان منجماً، مسايراً للحوادث والطوارئ في تجددها وتفرقها، وكاشفاً عن صفات الكفار في النصف الأول من السورة لأنها نزلت في رجل من الكفار، وفاضحاً عن صفات المنافقين في نصفها الأخير لأنها نزلت في رجل من المنافقين.

٣. إن الإيمان بالبعث، والتصديق بالحساب والجزاء، يؤدي إلى أحسن الأعمال الصالحة، وينفر من البخل والشح والتعلق بالدنيا ومتاعها الزائل.

٤. إن التكذيب بالبعث والحساب والجزاء، يؤدي إلى الأعمال القبيحة، لذلك جاء بأدوات الاستفهام والتشويق للفت الأنظار إلى حالهم مع الله تعالى ومع الخلق.

٥. إن من صفات المكذب بالدين الاستهانة باليتيم وإيذائه، ودفعه عن حقه وماله بشتى الوسائل ظلماً وعدواناً.

٦. إن من صفات المكذب بالدين منع المعروف، وعدم التشجيع عليه، فهو لا يحث نفسه ولا غيره على بذل الطعام للمسكين، لذلك كنى بنفي الحض عن نفي الإطعام.

٧. إن المنافقين لهم عذاب شديد يوم القيامة، لاستخفافهم بالصلاة، فهم بعيدون عن حقيقتها، والقيام لله وحده بها.

٨. إن من صفات المنافقين اللهو عن الصلاة، والتشاغل بغيرها، وإضاعة وقتها، لذا جاء بصيغة الذم والتوبيخ، ووضع الظاهر مكان الضمير فويل لهم، زيادة في التقبيح.

٩. إن من صفات المنافقين التظاهر والرياء بالصلاة خوفاً على أنفسهم، وإضمار الكيد للإسلام والمسلمين.

١٠. إن من صفات المنافقين البخل بمنافع الأشياء التي لا تمنع عادة عن الناس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرست المصادر والمراجع

وهي بعد القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القران – للسيوطي جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين – (ت٩١١ هـ) – تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم – مطبعة المشهد الحسيني – القاهرة – الطبعة الاولى – ١٣٨٧ هـ.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم – لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ) – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – للشنقيطي محمد الأمين بن محمد بن المختار (ت١٣٩٣هـ) – تحقيق: مكتب البحوث والدراسات – دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٤. إعراب القران ومعانيه – للزجاج إبراهيم بن السري بن سهل (ت ٣١١ هـ) – تحقيق ابراهيم الانباري – الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية – مصر – ١٣٨٣ هـ.

٥. إعراب ثلاثين سورة من القران الكريم – لابن خالويه الحسين بن احمد (ت ٣٧٠ ه) – مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة – ١٣٦٠هـ.

٦. الأعلام – للزركلي خير الدين بن محمود بن محمد (ت١٩٧٦م) – دار العلم للملايين – الطبعة الخامسة – ١٩٨٠م.

٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل – للبيضاوي أبي الخير ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد (ت٦٩١هـ) – دار الفكر – بيروت.

٨. البحر المحيط – لأبي حيان الاندلسي محمد بن يوسف (ت ٧٥٤ هـ) – مطابع النصر الحديث – الرياض.

٩. البداية والنهاية– لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) – مكتبة المعارف – بيروت – مكتبة النصر – الرياض – الطبعة الاولى – ١٩٦٦م.

١٠. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز – للفيروز ابادي محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ) – تحقيق محمد علي النجار – احياء التراث الاسلامي – القاهرة – ١٣٧٣ هـ.
١١. تتمة أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن – للشنقيطي محمد الامين بن محمد المختار(ت١٣٩٣هـ) – التتمة من عمل تلميذه عطية محمد سالم – مطبعة المدني – مصر ١٤٠٠ هـ.
١٢. التحرير والتنوير– لمحمد الطاهر بن عاشور(ت١٣٩٣هـ) – الدار التونسية للنشر – ١٩٤٨م.
١٣. تفسير ابن أبي حاتم – للرازي أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم – (ت٣٢٧هـ) – تحقيق: أسعد محمد الطيب – المكتبة العصرية صيدا.
١٤. تفسير القرآن العظيم – لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي – (ت٧٧٤ هـ) – تحقيق: سامي بن محمد سلامة – دار طيبة للنشر والتوزيع –الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ.
١٥. التفسير القرآني للقرآن – لعبد الكريم الخطيب – مطبعة دار الفكر العربي.
١٦. التفسير الكبير – للفخر الرازي محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ) – دار الكتب العلمية – طهران – الطبعة الثانية.
١٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن – للطبري محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ) – دار الفكر – بيروت – الطبعة الاخيرة – ١٤٠٨ هـ.
١٨. الجامع لأحكام القران – للقرطبي محمد بن احمد (ت ٦٧١ هـ) – دار احياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٦٧ م.
١٩. روح الدين الاسلامي – لعفيف بن عبد الفتاح طبارة – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الحادية عشر – ١٣٩٣ هـ.
٢٠. روح المعاني في القرآن العظيم والسبع والمثاني – لأبي الفضل محمود بن عبد الله الالوسي (ت ١٢٧٠ هـ) – ادارة الطباعة المنيرية – مصر.

٢١. سنن ابن ماجه – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ) – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار احياء التراث العربي.
٢٢. السيرة النبوية – لابن هشام محمد بن عبد الملك (ت ٢١٨ هـ) – تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي – دار العلم – بيروت.
٢٣. شعب الايمان – للبيهقي احمد بن الحسين (ت ٢٧٥ هـ) – تحقيق محمد سعيد بسيوني – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الاولى – ١٤١٠ هـ.
٢٤. صحيح البخاري – محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ) – مطابع الشعب – ١٣٧٨هـ.
٢٥. صحيح مسلم – أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري (ت ٢٦١هـ) – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار احياء التراث العربي – بيروت.
٢٦. صفوة التفاسير – للصابوني محمد بن علي – دار القرآن الكريم – بيروت – الطبعة الثانية – ١٤٠١هـ.
٢٧. طبقات المفسرين – للداودي محمد بن علي (ت ٩٤٥هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الاولى – ١٤٠٣هـ.
٢٨. فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير – للشوكاني محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ) – مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر – ١٣٥١هـ.
٢٩. في ظلال القرآن – لسيد قطب بن إبراهيم المصري(ت١٣٨٧هـ) – دار الشروق – بيروت – ١٤٠٥هـ.
٣٠. الكاشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل – للزمخشري محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) – دار المعرفة – بيروت.
٣١. لباب النقول في أسباب النزول – للسيوطي أبي الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن كمال (ت٩١١ هـ) – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

٣٢. لسان العرب – لابن منظور محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) – دار صادر للطباعة والنشر – بيروت – ١٣٧٤هـ.
٣٣. مصنف ابن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ) – تحقيق كمال يوسف الحوت – مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الاولى – ١٤٠٩هـ.
٣٤. معترك الأقران في إعجاز القرآن – للسيوطي أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال (ت ٩١١هـ) – صححه احمد شمس الدين – دار الكتب العلمية بيروت.
٣٥. معجم مقاييس اللغة – لابي الحسين احمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) – تحقيق عبد السلام محمد هارون – دار الكتب العلمية – ايران.
٣٦. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار – للذهبي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ) – تحقيق: بشار عواد معروف – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى، ١٤٠٤.
٣٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور– للبقاعي ابراهيم بن عمر (ت ٨٨٥هـ) – مكتبة ابن تيمية – القاهرة – الطبعة الاولى – ١٤٠٤هـ.
٣٨. النكت والعيون – للماوردي علي بن حبيب (ت ٤٥٠هـ) – تحقيق خضر محمد خضر – مطابع مقهري – الكويت – الطبعة الاولى ١٤٠٢ هـ.